سعود الفيصل مع وزير الخارجية الايراني ولايتي في طهران

أحد الحرجي في مجزرة مكة

العلاقات السعودية - الايرانية في ضوء ذكرى المجزرة

في ذي الحجة من كل عام تمر الذكرى السنوية لمجزرة مكة في يوم الجمعة الدامي عند غروب الشمس خيّم الظلام على روابي مكة بحالة اكتئاب غطت سماء البيت الحرام، فأخرجت قلوب العشاق المحرومين الذين هاجروا إلى المعشوق ليتطهروا حول بيته. لم يكن الإجرام (السعودي) ليميز بين المكان المقدس من غيره، ولا النفس المقدسة من غيرها، ولا الشهر المقدس من غيره، فلم يكن بيت الله الآمن أمناً في زمن الغدر (السعودي). ولم يكن الإحرام رادعاً لانتهاك الحرمات.

لقد دكت الكعبة بالمنجنيق في عهد الحجاج طاغية عصره فأثار المسلمين وانتعش ذلك في الذاكرة الأسلامية، وبقي ذل العمل في مقدمة تاريخ الحجاج الأسود. وكذلك فعل فهد بن عبد العزيز الملك (السعودي) خادم الحرمين عندما دك الكعبة بدبابات الغدر الفرنسية والامريكية عندما هاجم المعتصمين بالحرم عام ١٤٠٠، وكذلك فعل عندما هاجمت زمر الشرطة (السعودية) عام ١٤٠٧هـ حجاج بيت الله الحرام فأراقوا الدماء الطاهرة في البقعة المباركة فأصبح الأحرام الأبيض أحمراً قانياً. ولكن الفرق بين موقف الحجاج في التاريخ وموقف فهد بن عبد العزيز أن الأول الكل يسمه بالسفاك و.. ولكن الأخير يسم بخادم الحرمين الشريفين!.

لقد جاء العشاق ملبين النداء الإبراهيمي وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضاهر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم ويذكروا أسم الله في أيام معلومات جاءوا لمكة فلم يجدوها مكة بل وجدوا ثكنة عسكرية فواجهوا الرشاشات الأمريكية ولم يستنشقوا أطياب محمد بل استنشقوا الغازات لأنهم أعلنوا أن الله بريء من المشركين ورسوله عندما رددوا من أعماقهم المقهورة (الموت لأمريكا) و(الموت لأسرائيل).

الذي شهد الحج عام المجزرة عندما يسأل عن المجزرة كل ما يستحوذ علية في نقله ذلك الجانب الدموي والمأساوي الذي تعرض له ضيوف الرحمة وربما يستغرب وينكر السامع ما ينقل غير أن الذي عاش في ضنك الغدر (السعودي) يستوعب كل ما ينقل اليه دون أدنى تحفظ فالملك عقيم. عشرات الصور التي تتزاحم في الذاكرة لما تعرض له أولئك المؤمنون في بيت الله الحرام خصوصاً وأن أكثر المصابين هم من النساء والشيبة. لم تكن المجزرة قتلاً لأكثر من أربعمائة حاج فقط وأن كان ذلك عظيماً ولكنه تعداه إلى نطاق الأعتداءات على الأعراض والقاء الناس من أعلى العمارات ورضخت الرؤوس بالصخور والضرب على الهامات بالهراوات وغيرها من تلك الصور المأساوية.

والأمر المهم الذي يجب أن لا يفوتنا أن هذه المجزرة لم تقع أي مكان من

الحجاز بل في مكة المكرمة التي ضمن ا لله لها الأمان فأصبحت ذات مكان خاص لدى المسلمين فحرمت قتل الحيوانات منها والهوام والحشرات، ولو كانت في مكان آخر لربما أختلف الأمر، ومن هنا تأخذ المجزرة بعداً عالمياً على مستوى الأنسانية لما لمكة المكرمة من قداسة عند الأديان الأخرى. ولذلك فهمت الرسالة (السعودية) هذه على أنها موجهة للعالم الأسلامي أنها لن ترضى على اي حركة تمثل الوجه الآخر المخالف للسياسة (السعودية) وأن أستلزم ذلك إيقاع مجزرة كهذه.

والأمر المؤلم حقاً أن لا تحظى هذه المجزرة بما يناسبها في وسائل الأعلام الأسلامية، لأن ما حدث يوافق المصلحين الذين يضر كشف الحقيقة لأنها سوف تقطع الدعم (السعودي) عن اعلامهم ورجالهم فبقيت المجزرة غوغاء أيرانية. والبعض الآخر يخاف ان يكشف الحقائق للرأي العام فتسم حركة إيرانية ... وعلى خط الخميني فإن تحسب على أيران يعني تعثر حركت، من هنا أغفلت المجزرة مع ضخامة أبعادها أسلامياً في حركة المسلمين نحو التهوص، فالمال السعودي والخوف من المحسوبية على أيران وقف حاجزاً بين المجزرة والرأي العام. فبقي الأعلام (السعودي) والعميل والأستكبار في الساحة دون منازع حتى تكوّن راي عام لا يفهم من المجزرة سوى أنها غوغاء أيرانية أرادات أحتلال مكة ونقل الحج الى مدينة (قم) فقاوم الشرطة (السعوديون) تلك الأماني.

وقد يتساءل البعض كيف أمكن الأعلام (السعودي) أن يستثمر جانباً كبيراً من المجزرة؟.

الاسلوب الذي تعامل معه النظام (السعودي) هو الذي ادى إلى ذلك عندما أخذ النظام في أبواق إعلامه يعزف منظومة الطائفية وهذه المشكلة تجد الأرضية المناسبة في الوطن الأسلامي وخصوصاً داخل الحجاز، فالأكثرية الذين سقطوا في ساحة مكة في تلك المجزرة هم من الأيرانيين الشيعة، وداخلياً حتى الذين أطلعوا على حقيقة المجزرة غضوا الطرف لأن الجانب الآخر هم الإيرانيون الشيعة!.

احد الشهداء في مجزره مكة

من هنا كانت الحاجة إلى دراسة الوضع الأسلامي في أبعاده الأعلامية وكيف يمكن تجاوز تلك المشكللات التي لا تخدم المسلمين بل تضفي جهلاً إلى جهل.

من هنا كانت ضرورة الموقف المسؤول واهيه في وقت قلت المواقف المسؤولة.

وتجدر الإشارة أيضاً إلى مجزرة نفق المعيصم الذي ضاع في ظلمة لنقف دون أن تأخذ أبعادها الأخرى في وسائل الأعلام، ولم ين خافياً لدور (السعودي) أيضاً في تنفيذ تلك المجزرة الآخرى كرسالة ثانية مدعمة للرسالة الأولى وفعلاً قل الحجاج عندما لو يجدوا الأمان في بلدة الأمان والذي ما زال النظام (السعودي) يتشدق بها ويعتبرها أهم المنجزات في الدولة (السعودية).

من هنا أستراح النظام (السعودي) عندما غاب كثير من المسلمين عن الحج وغاب الأيرانيون وعندما غاب الحج الإبراهيمي لمدت ثلاث سنوات فلم يعد هناك ما يوجه الحجاج الذين يمثلون أصقاع العالم الأسلامي إلى عدوهم اللدود والحقيقي (أمريكا)، فعاد أستغلال النظام (السعودي) لمراسم الحج وفق سياسيته

ويمكننا أن نلقي نظرة سريعة حول الهدف من تلكم المجازر: كان الأمام الخميني (قد) يستثمر الحج من أجل الحركة النهضوية التوعوية للمسلمين قبل قيام الثورة الأسلامية في أيران وذلك من خلال البيانات السنوية التي كان يرسلها في أشهر الحج والزيارة إلى حجاج بيت ا لله الحرام غير أن ذلك لم يكن ليؤثر بالنمو المرجو نتيجة عدم توفر الظروف الملائمة ولكن بعد قيام الثورة الإسلامية المباركة بقيادة الأمام الخميني أختلف لوضع تماماً فـ ١٥٠ الف حاج إيراني وغير الايرانيين يحملون توجهات الإمام الخميني (قده) من هنا أخذت قوة بيانات الأمام والمراسيم المقامة للبراءة من المشركين بعداً آخر خصوصاً في مسيرتي البراءة من المشركين في مكة والوحدة في المدينة المنورة وخصوصاً ما تحمله من شعارات ترهب الأستكبار وعملاءه. وفي كل سنة أخرى تتقدم تلك المشروعات الأسلامية محدثة أثراً أكبر في المسلمين. فهنا حدث التركيز على العدو الأهم وهو (أمريكا) و(إسرائيل) خصوصاً وأن النظام (السعودي) يقوم على الدعامة الأمريكية وقد أثبتت احداث الخليج على ذلك بما لا يدع مجالاً للشك. فأخذ الخطر يتجسم أكثر

فأثر على دور النظام (السعودي) الذي يمارس دوراً وحيداً في الحج من أجل أهدافة الوهابية، وهنا كان لا بد من التصادم الصريح بين التوجيهيين الأسلامي الأيراني و(السعودي)، والجدير بالذكر أن الصراع في أرض مكه ليس هو الوحيد أنما هو جزء من صراع شامل في بقاع الأرض بين الدور الأسلامي الناطق والدور (السعودي) التقليدي في توجية المسلمين في العالم نتيجة الفراغ الذي كانت تشكو منه الساحة الأسلامية الواسعة ويمكن القاء نظرة سريعة على الأحداث في الباكستان وافغانستان.. لتدعيم وجهة النظر هذه.

لقد أستغلت (السعودية) تواجد الأساطيل الأمريكية في الخليج لتوجه ضربة كبيرة للدور الأيراني وبمباركة أمريكية واضحةً وتأييد حكومي عالمي وعربي واضح.

لذلك يعتبر هذا الحدث تحول في السياسة (السعودية) الخارجية لتفهم أيران أن (السعودية) ستنازل أيران على مستوى يليق بالدور (السعودي) وفعلاً أستغلت (السعودية) المجزرة لصالحها لتوجية ضربة للدور الأسلامي.

فلا يجوز أن نغفل الحقيقة حتى وأن وصفت وصفت المجزرة بإنها نتيجة صراع أيراني - سعودي على قيادة العالم الأسلامي، لأنه لا بد من النظر بموضوعية إلى المسألة والوقوف بجانب الحق، إيران عملت تلك المجزرة نتيجة أحساسها بحجم الواقع المأساوي الذي يعيشه العالم الإسلامي وهو عدم التوجة الحقيقي نحو العدو (أمريكا) في حين أن النظام (السعودي) قام بتلك المجزرة رغبة في الهينمة على دوره التقليدي في قيادة العالم الأسلامي لتنفيذ توجهاته المشبوهة ولن تنظر السياسة (السعودية) إلى واقع المسلمين حتى تساهم في حركته العضوية لأن صنيع بريطانيا لا ينتظر منه ذلك.

ولكنه وبعد حج الأيرانيين في هذا العام كيف يمكننا قراءة المجزرة وما يتمخض عنها؟ أول ما يستوقفنا رغبة (السعودية) في أعادة العلاقات مع الجمهورية الأسلامية في أيران في حين

ولي امر المسلمين الإمام الخامنئي.

أنها هي التي قطعت العلاقات بحجة مواقف أيران المتنافية مع الأحكام الأسلامية! اذاً لا بد أن يكون قد حدث تغير اما في الموقف الإيراني أو الموقف (السعودي)، أيران لم تغير موقفها تجاة النظام (السعودي) أو الحج والمراسم التي أقيمت هذا العام في مكة خير دليل على ذل فقد أقيمت شعائر البراءة من المشركين في قلب مكة، وإن كان موقف الجمهورية الأسلامية من أزمة الخليج له مدخلية في هذه العلاقات، غير إن الموقف (السعودي) في الحقيقة أراد أن يسيغ نوعاً من الحقانية على تصرفه باستدعاء القوات الأجنبية إلى الحجاز وحج الأيرانيين ربما يساهم في تخفيف حدة المواقف المضادة تجاة السعودية فوقعت أيران في موقف محرج جداً بين أن تكون في هذا الوضع غير المرغوب وبين أن تفوت الحج خصوصاً وأن السماح لهم الحج مشروط بإعادة علاقات، فإذا لم تحج أيران هذه السنة ربما لا يسمح لها بالحج في السنوات القادمة في حين أن أهم دعائم الأستراتيجية الأسلامية هو محور الحج لأنه المؤتمر الأسلامي الواسع.

وقبول (السعوديين) حج الإيرانية هذه السنة هل يمكن الأطمئنان اليه؟.

هذا ما نستبعده لأن استمرار الحج يتوقف على أما أن تغير (السعودية) موقفها من البراءة من المشركين وتقبل بالوضع المندد بأمريكا في أراضيها وهذا ما يتنافى مع توجهاتها وما لا تسمح به أمريكا لربيبتها، أو أن تتنازل القيادة الأيرانية عن مراسم الحج الإبراهيمي، وهذا الأخير لا يمكن تصوره لأن الحج الإبراهيمي تحول إلى واقع في أعماق المسلمين ولا يمكن أن تغير القيادة الأسلامية ذلك المعلم البارز الذي ما فتئت تطالب بتحقيقه، ومن هنا فكيف أن يستمر الحج الإبراهيمي مع قيام النظام (السعودي).

وبما يحاول النظام (السعودي) في إستهلاك الحجاج الإيرانيين كغطاء لفترة محدودة ثم بعد ذلك تحدث مشكلة أخرى.

فالخلاصة أن السياسة (السعودية) تجاة الحج تقوم على أساس مصلحي بحت دون أعتبار الرأي الإسلامي. وعلى ذلك فهل يعقل أن يبقى الحرمان رهن الطمع (السعودي) أم سنسعى لتغيير ذلك الواقع؟ من هنا كانت أعادة فتح أوراق المجزرة خطوة في ذلك الطريق.